آفاق نجفية

مجلة فصلية مصورة تعنى بالدراسات والبحوث الدينية والمعاصرة

المتخصصة بشؤون النجف الأشرف

١

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

الثروة الادبية

في النجف الاشرف

الأستاذ: محمد علي البلاغي*

في النجف – علاوة على الثروة العلمية الغزيرة – ثروة ادبية قيمة، هي ينبوع غزير، لا ساحل له ولا قرار، وعين للآداب فوارة، يمكن ان يرتوي منها ابناء الضاد، وان يخلفوا منها للعراق كيانا ادبيا جديدا، يتناسب والعصر الحاضر، ويتفق والطراز الحديث...

وكل هذه الثروة والخزانة الغالية لا تحتاج الا الى شئ قليل من الاعتناء والصقل والجلاء، لتبرز الى القراء، والمتشوقين الى هذه الاثار الثمينة، ولتخلق لنا جيلا متأدبا، وطبقة من الادباء كبرى، يرفعون رأس اللغة العربية في هذه الربوع ويجعلون لابنائها مكانة سامية ومقاما محمودا، تحسدها عليه الامم، وتغبطها الشعوب...

لمدينة النجف – في المناحي الادبية – خصائص وميزات قلما توجد في مدينة اخرى، فقد عجنت بالاداب، واختمرت به الى درجة بعيدة جدا، فانى سرت وأين حللت، رايت وسمعت ما يطربك ويعجبك، من نثر رائق وشعر فائق ونكات مستملحة ونقد نزيه، علاوة على الذكاء الفطري المحس في سائر الطبقات في النجف.

وهب انك استطعت (وهيهات) ان تحصي في مدة طويلة اسماء ادبائها وتعرف من مؤلفاتهم شيئا فانك لا محالة عاجز عن الوقوف على نهاية آثارهم المبعثرة هنا وهناك، ويمكننا في هذا المقام ان نحصر الثروة الادبية في النجف بنطاق ضيق ونلخصه في مواضيع ثلاث:

١- ادب الجدران والابواب:.

لا يكاد السائح او الزائر ان يدخل الى هذه المدينة المقدسة، ويقف على جدار جامعة او باب مدرسة او مقبرة او مشهد او معبد، الا ويجد عليه البيت او البيتين او القطعة النفيسة الرائقة، مما يتناسب والمقام، وينطبق ومقتضى الحال فهذا باب جامع كتبت عليه ابيات جميلة،

---

* كاتب، أديب، شاعر، صحافي فاضل، رئيس تحرير مجلة الأعتدال النجفية (ت ١٣٩٥هـ).

عن: مجلة الأعتدال النجفية س١ ع٨ لسنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

ذكر فيها عبارات التقوى والعبادة واسم الباني له في تاريخ بنائه، وهذه دكة رسمت عليها مقطوعة غالية يرثي بها صاحب القبر، مع مقدار من شرح مزاياه واثاره وتأريخ وفاته، وتلك زاوية اثرية مرت عليها الاجيال والقرون بما فيها من ادباء يجتمعون بفنائها فاصبحت مجموعة نفيسة فيها ما فيها من ابكار افكار النجف وفطاحلها.

وحبذا لو تصدى بعض الباحثين من ادبائنا لاصدار مجموعة تضم تلك الاثار الدارسة ليقف منها على ادب وتأريخ ومقدرة لايستهان بها.

٢- ادب المجاميع الناطقة.

ظاهرة من ظواهر اندية النجف الحافلة، ومزية من مزايا عمار محافلها اختصت بها دون غيرها، وهي انك لا تكاد تجتمع بشيخ او كهل من رواد تلك المحافل، ورواد هاتيك المناهل، الا وسمعته يروي لك عن شعرها وشعرائها وطرائف ادبائها، ونكاتهم ومطارحاتهم ومساجلاتهم، مما مرت عليه العصور التي قضاها في اوساط اولئك الكتاب والشعراء، واذا اخذت نصيبك من تصفح صفحات ذاكرته، وتبينت خلال سطور حافظته وجدت نفسك - بلا ريب - وبين يديك مجموعة (ناطقة) تزيدك مادة ادبية كلما زدتها تصفحا واستطلاعا.

٣- ادب المجاميع المخطوطة.

اجل، وفي زوايا النجف ومكتباتها (العامة والخاصة) وحجراتها القديمة، وخزائنها وصناديقها من المخطوطات الاثرية القديمة والحديثة، والمجاميع العامة، والدواوين الشعرية والمقامات والرسائل النثرية البليغة والمعارضات والمساجلات وتراجم مختلف الادباء في مختلف الادوار والعصور، ما يفوت حد الاحصاء.

فلو فتش احدنا القصائد وتتبع المنظومات الشهيرة - امثال البردة والهمزية[١] والدريدية[٢] والنترية[٣] والعلويات[٤] والهاشميات[١] وبانت سعاد[٢] وميمية

---

(١) قصيدتان بليغتان مشهورتان في مدح سيد الكائنات محمد (ص) وهما لشرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المتوفى بالاسكندرية سنة ٦٩٥ هجرية.

(٢) هذه القصيدة من المقصورات الشهيرة التي سارت بها الركبان وهي لمحمد بن الحسن بن دريد ابو بكر الازدي البصري الذي قيل فيه انه اعلم الشعراء واشعر العلماء ولد سنة ٢٢٣ هجرية.

(٣) قصيدة بديعة لمهذب الدين احمد بن منير الطرابلسي خاطب بها الشريف الموسوي ابا مضر النقيب .. ولد سنة ٤٧٥ وتوفي سنة ٥٤٨ هجرية.

(٤) هي سبع قصائد لشارح نهج البلاغة عبد الحميد بن ابي الحديد المدائني المولود سنة ٥٨٦ والمتوفى سنة ٦٥٦ هجرية. طبعت في ايران وسوريا.

الفرزدق[٣]. وغير ذلك، فلا يجد لكل منها الا تخميسا او تخميسين، وتشطيرا او تشطيرين ذلك في غير النجف.

ولو قلبنا وجوه هذه المجاميع التي اشرنا اليها في - زوايا النجف - لوجدنا لكل واحدة من التخميس والتشمين والتشطير،عددا كبيرا من احسن ما جادت به قرائح الادباء النجفيين الوقادة.

ولقد حدثني احد الاصدقاء وقال بانه يعرف قصيدة واحدة اجتمع عليها مقدار قليل من الشعراء فغير كل منهم قافيتها ورويها مع حفظ الوزن والتراكيب ثم ادعاها كل منهم انها له، وانها من بنات افكاره الخاصة، ونظم دعواه ارجوزة حاوية على مستنداته، وكل ما يبرر دعواه.

وقد عرض هؤلاء دعاويهم (اراجيزهم) على قاض نجفي اديب كان في زمانهم فحكم لاحدهم بها واصدر قرارا منظوما بذلك، يستند فيه على ادلة مقنعة، ويرد على شهادات الشهود، كل ذلك بشعر نفيس ونظم متين.

وقد جاءت هذه المحاكمة من انفس الكتب الادبية، التي تدل على براعة ومقدرة اولئك الادباء الفطاحل.

قدمت حكومة الاندلس للمؤرخ ابن خلدون جواز سفر بصورة ارجوزة فقامت قيامة المؤرخين في الثناء على الادب الاندلسي، ولو قارنا بين هذا الجواز الاندلسي وبين هذه الدعوى الكبيرة في النجف لالفينا بونا بين الادبين شاسعا، وفرقا بين الحالين واسعا، هذا جواز سفر منظوم لا اكثر ولا اقل، وهذه دعوى بها مقدار كبير من المدعين، ولكل مدع شاهدان ويتبعها قرار من المحكمة، كلها نظم في نظم، ولا ترى مع ذلك كله مكبرا ولا مقدرا.

فهل للحكومة ان تهتم بالنجف وتحتفظ بأدبائها لتنتفع البلاد بهم، ولتستغن عما تبذل في سبيله الاموال الكثيرة؟!

---

(١) قصائد مطولة بليغة للكميت بن زيد الاسدي الكوفي المتولد سنة ٦٠ هجرية. وهي مطبوعة بشروحها في ايران ومصر.

(٢) هي لكعب بن زهير بن ابي سلمى في مدح رسول الله (ص)

(٣) قصيدة عظيمة للفرزدق التميمي الشاعر الكبير المشهور المتوفى سنة ١١٠ هجرية في مدح علي بن الحسين زين العابدين (ع) مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

مخطط النجف القديمة

في سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م

الحاج عبد الله شكر الصراف

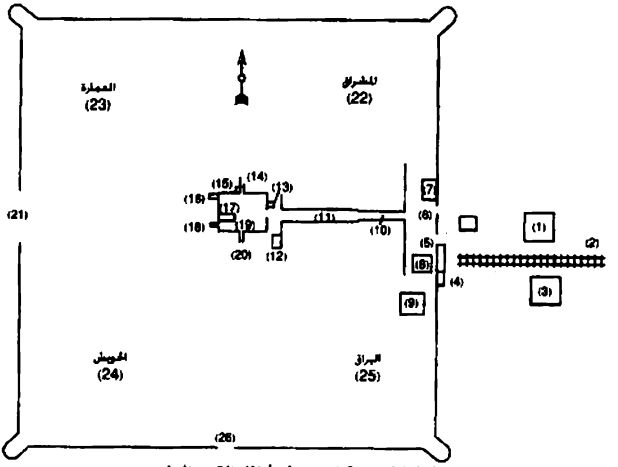

مخطط لمدينة النجف في أوائل القرن العشرين

١. المكتب:

بعد خلع السلطان عبد الحميد شيد العثمانيون هذا المكتب فيه أولاد الموظفين وبعض أبناء الذوات.

وتوقف التدريس في هذا المكتب عندما خرج العثمانيون من النجف في نيسان ٩١٥.

وفي العهد الملكي وضعوا في هذا المكتب دوائر الحكومة.

٢ـ سكة التراموای بين النجف والكوفة.

٣ـ الحفير.

خان عطية أبو كلل استولت عليه بريطانيا وجعلته (office) النجفيون يسمونه حفير.

في هذا الحفير قُتِل حاج نجم البقال الحاكم البريطاني الكابتن مارشال في فجر يوم ١٩ مارت ١٩١٨.

٤ـ بناية ادارة شوكة التراموای.

والى جانبها اسطبل الخيول التي تسحب عربات التراموای.

٥ـ الباب الكبير. (باب الجبيرة)

شيّد العثمانيون فوق هذا الباب بناية بلدية النجف.

٦ـ باب القلوب.

شيد العثمانيون فوق هذا الباب (clup) النجفيون يسمونه قلوب في العهد الملكي جعلوا المحكمة في هذه البناية.

٧ ـ القشلة.

القشلة العثمانية هدمتها بريطانيا بعد حصار النجف سنة ١٩١٨ وفي العهد الملكي شيدوا على أنقاضها مدرسة الغري الأهلية.

كان في مدخل هذه القشلة مدفعان نقلتهما بريطانيا إلى مدخل الحفير وعندما شيدت الحكومة متحف ثورة العشرين في النجف نقلوا المدفعين إلى مدخل المتحف.

٨ ـ خان الهنود البُهره.

هذا الخان موقوف للزوار من الفرقة المستعلية من الطائفة الإسماعيلية.

٩ـ الشيلان.

بناية الشيلان شيدها حاج معين وضع المجاهدون في هذه البناية أسرى معركة الرارنجية في ثورة العشرين.

١٠ـ قيصرية خالد.

في أيام السلطان القاجاري فتح علي شاه شيد الصدر الأعظم سوراً للنجف وشيد مدرسة الصدر وشيد هذه القيصرية وجعلها وقفاً لخالد بن الوليد مجاملة للدولة العثمانية.

١١ ـ السوق الكبير (سوك الجبير).

١٢ـ خان دار الشفاء.

خان قديم جداً لعله المكان الذي نزل فيه ابن بطوطة حسب ما جاء في رحلته. هدموه مع الأسف.

١٣ـ مسجد الخضراء.

مسجد قديم جدا هدموه مع الأسف.

١٤ـ باب الطوسي.

١٥ـ مسجد عمران.

أمير البطائح عمران بن شاهين بنى هذا المسجد في أواخر القرن الرابع ولا يزال البناء كما كان حتى هذا اليوم من سنة ١٠٣٠ هجرية شيد شاه صفي الصحن العلوي وأضاف إلى الصحن جزءاً من هذا المسجد قبله سيد كاظم اليزدي في الجزء المأخوذ من مسجد عمران.

١٦ـ تكية البكتاشية.

إلى جوار هذه التكية بيت وقف يسكن فيه شيخ عطا المسؤول عن تكية البكتاشية وله راتب شهري من الأوقاف مع العلم أن مدينة النجف لا يوجد فيها ولا بكتاشي واحد.

النجفيون يقولون إن شيخ عطا يقف عند ضريح الإمام ويضع يده على شيبته ويقول: إلهي بحق هذه الشيبة اغفر لعلي بن أبي طالب.

١٧ـ باب الفرج.

١٨ـ سوق العمارة.

١٩ـ باب القبلة.

٢٠ـ سوق الحويش.

٢١ـ ثلمة السور.

في هذه الثلمة مقام زين العابدين وقبر صافي صفا ودرعية عطية أبو كلل.

٢٢ـ محلة المشراق.

في هذه المحلة منازل الزوار وفيها عدة بيوت لخدام الحضرة العلوية وفي هذه المحلة قبر شيخ الطائفة الطوسي وقبر السيد مهدي بحر العلوم وفيها مدرسة الصدر ومدارس أخرى.

وفي هذه المحلة مساكن رؤساء الشمرت وفي هذه المحلة من الأسر العلمية آل بحر العلوم وآل مانع ومسكن الشيخ جعفر البديري.

٢٣ـ محلة العمارة.

في هذه المحلة بيوت الأسر العلمية آل كاشف الغطاء، آل صاحب الجواهر، آل الشيخ راضي، آل محيي الدين، آل مطر، آل نصار، آل الخضري، آل الدجيلي، آل الجزائري، آل الصافي، آل الخليلي، وآل العادلي، وآل ثامر، وآل حرز الدين، وآل شمسه، وآل زايردهام، وآل الفرطوسي، وآل الصغير، وآل علي بيج، وفيها مسكن السيد أبو الحسن ومسكن الشيخ عبد الله المامقاني، ومسكن السيد محسن الحكيم، ومسكن السيد علي بحر العلوم، وفيها مدرستان للشيخ حسين الخليلي، ومدرسة كاشف الغطاء، ومدارس أخرى.

٢٤ـ محلة الحويش.

في هذه المحلة مسكن السيد محمد سعيد حبوبي ومسكن سيد كاظم اليزدي ومسكن الهندي ومسكن شيخ علي رفيش ومسكن الشيخ علي الحلي ومسكن السادة آل كمال الدين وفي هذه المحلة مدرسة سيد كاظم اليزدي وهي أجمل مدرسة في العراق وفيها مدرستان للشيخ كاظم الخراساني وفي هذه المحلة مساكن ومعامل النساجين.

٢٥ـ محلة البراق.

في هذه المحلة بيوت النجارين والأثرياء بيت شلاش، بيت ناجي، بيت رجيب، بيت منى، بيت عجينه، بيت شريف، بيت مرزه، بيت شكر، بيت شبر، بيت البهبهاني، بيت النقش، بيت الأعسم، بيت الكرماني، بيت دوش، بيت سعدون العجيل، وعدة بيوت لأثرياء آخرين.

وفي هذه المحلة من الأسر العلمية آل الطريحي وآل المظفر وآل الشبيبي وآل المشهدي وآل النراقي، وفي هذه المحلة مسكن شيخ الشريعة ومسكن الشيخ جواد البلاغي، وفي هذه المحلة مدرستان للشيخ كاظم الخراساني.

٢٦ـ باب جتابيه.

الإسم مأخوذ من التركية (أوج تابيه)

٢٧ـ محل شركة العربات التي تنقل المسافرين بين النجف وكربلاء.

كانت (العربة) تسحبها أربعة خيول. وعندما تصل إلى خان المصلى الذي يبعد عن النجف ٢٠ كم تستبدل خيولها بأربعة خيول أخرى وفي خان الحماد الذي يبعد عن خان المصلى ٢٢كم تستبدل الخيول مرة ثانية، وعندما تصل الى خان النخيلة الذي يبعد عن خان المصلى

٢٢كم تستبدل الخيول، وخان النخيلة يبعد عن كربلاء ٢١ كم، كانت مدة السفر بين النجف وكربلاء ما بين العشر ساعات إلى ١٢ ساعة.

خان المصلى شيده التاجر النجفي الحاج حسن مرزة. في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري. وخان الحماد شيده المجتهد الشيخ مرتضى الأنصاري من أوائل النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وخان النخيلة شيده أحد الهنود.

شيدت هذه الخانات الثلاثة بالقرب من نهر الفرات (نهر الهندية) الذي تبرّع بالانفاق عليه أمير هندي لايصال الماء إلى النجف. وبدأ العمل به في سنة ١٢٠٨ هـ وتاريخ تلك السنة بحساب الجمل (صدقت جاريت) قبل ذلك كان يوجد خان واحد فقط بين المدينتين اسم ذلك الخان (خان جذعان) ولا أعرف من هو المرحوم جذعان ذلك الخان كان بعيداً عن نهر الفرات.

عندما شيدت الخانات الثلاثة المارّ ذكرها هُجر خان جذعان مررت عليه قبل ستين سنة فوجدته متداعي الأركان وبعد ذلك زحفت عليه رمال الصحراء فصار رابية وبهذه المناسبة أقول أكثر روابي العراق توجد تحتها آثار تاريخية.

وعن خان جذعان المهجور المتداعي الأركان قالت عاشقة مهجورة:

(ظل خان ابن جذعان كلبي يثامر مهدم من الهجران ما كنز عام)

فأجابتها مهجورة أخرى قائلة:

(يا خان ابن جذعان قلبي لعصيّه يتسودن من بعيد اليمر بيّه)

العصيه: قلعة من آثار الخزاعل عن يمين الذاهب إلى مدينة (الخرم) التي سميت بعد ذلك (غماس) وكان الناس يعتقدون أن الذي يصل إلى العصية يصاب بالجنون.

٢٨ـ تذهيب الحضرة الطوية.

نادر شاه الافشاري ذهّب الحضرة الطوية.

بدأ التذهيب في سنة ١١٥١ هـ كما هو مكتوب على باب الصحن المقابل للسوق الكبير. وانتهى التذهيب في سنة ١١٥٦ هـ كان تاريخ تلك السنة بحساب الجمل:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

١١٥٦ =٢٨٩+٢٨٩+٢٨٩+٢٨٩

في تلك السنة جاء نادر شاه ال النجف وعقد مؤتمراً في الصحن العلوي جمع فيه علماء من عدة مدن إسلامية وقرر المؤتمر إدخال المذهب الجعفري مع المذاهب الأربعة سيد نصر الله الحائري ـ جدال نصر الله في كربلاء ـ أخذ قرار المؤتمر إلى استنبول ومات ودفن هناك ويقال إنه قُتل.

جلس نادر شاه على العرش في سنة ١١٤٨هـ وقالوا في تأريخ تلك السنة بحساب الجمل (الخير فيما وقع) وكُتبت هذه الجملة على مسكوكات نادر شاه وقُتل نادر شاه في سنة ١١٦٠هـ فقالوا في تاريخ تلك السنة بحساب الجمل (ندر بدرك رفت) معناها ذهب نادر إلى جهنم.

٢٩ـ دُرُّ النجف.

قال شاعرنا الكوفي أبو الطيب المتنبي:

(ولـــيلاً توســـدنا الثويـــة تحتـــه كأن ثراها عنبر فـــي المرافـــق)

(بـــلاد إذا زار الحـــسان بغيرهـــا حصى تُربهـــا تَعْبنـــه للمخـــانق)

الثوية أرض النجف وحصى تربها دُرُّ النجف كانت النجف تسمى الربوات البيض لأنها كانت مغطاة بالدر.

وكان في النجف صناع يبلورون الدر ويصنعون منه فصوصاً للخواتم ويثقبونه قلائد للنساء وكان الزوار يشترونه تبركاً، ولم تبق من ذلك الدر بقية.

وفي أيام شبابي كنت أشاهد بعضه على الأرض المحيطة بمدينة النجف كما أني أدركت آخر من يبلور الدر المرحوم هادي الحكاك.

تقول كتب التاريخ ان الفاطميين في مصر كانت عندهم معامل لبلورة الدر. لاشك أنهم كانوا يأخذون من در النجف ويبلورونه.

المصريون يسمون الثريا البلور (نجفة) أحسب أن هذا الاسم مأخوذ من در النجف.

بطاقة شخصية:

الحاج عبد الله الصراف

- الحاج عبد الله عبد الرسول الصراف من أسرة آل شكر العربية العريقة.
- ولد في النجف في ٢٨ جمادى الآخرة / ٧ تموز ١٩١٠م.
- تعلم القراءة والكتابة على يد الشيوخ في أروقة المساجد، حيث لم يكن هناك مدارس نظامية في النجف.
- وفي أزمة سنة ١٩٢٩ خسر جميع أمواله، وفي سنة ١٩٣٢ بدأ من جديد حيث رافقه حسن الطالع والتوفيق فتوسعت أعماله في منطقة المشخاب وأسس معملا للحبوب في الكوفة.
- بالاضافة الى أعماله التجارية والصيرفية عمل في الأدب وكان صديقاً لجمعية الرابطة العلمية الأدبية التي يرأسها صديقه الشيخ محمد علي اليعقوبي وسكرتيرها صديقه السيد محمود الحبوبي، وكان بيته ملتقى للمثقفين والأدباء.
- كان من الساعين لتأسيس غرفة تجارة النجف وكان نائبا لرئيسها، وكان مسؤولا عن مالية مدرسة الغري الأهلية لمدة عشرين سنة، كما كان مسؤولا عن إدارة المخابز لتوزيع الخبز على الفقراء مجانا في سنة ١٩٤٧.
- انتقل الى بغداد وأسس مصرفين أحدهما في بغداد والثاني في البصرة وله مصرف ثالث في النجف، وكان دقيقا في عمله، فكان من أبرز من مارسوا مهنة الصيرفة في العراق.
- في عام ١٩٦٤ أممت الحكومة العراقية المعامل والمصارف وبها أنتهت أعماله في بغداد.
- كان هاويا لجمع المسكوكات الاسلامية الأثرية فتجمعت لديه على مدى أربعين عاما مجموعة من بداية التاريخ الاسلامي الى العصر الحاضر، تحتوي هذه المجموعة على ١٥٩٣ نقدا، منها ٤٣١ نقدا من الذهب و١٠٩١ نقدا من الفضة والباقي من النحاس، وفي يوم ١٩٦٩/٣/١٨ أهدى الصراف مجموعته هذه الى المتحف العراقي حيث خصصت لها قاعة خاصة كتب على مدخلها قاعة عبد الله شكر الصراف للمسكوكات الاسلامية، وأقامت له وزارة الإعلام احتفالا حضره وزير الإعلام، وقرر أن يطبع عدد خاص من مجلة المسكوكات لمسكوكات الصراف وكتب فيه خبراء مختصون في دراسة المسكوكات، ووزعت نسخ منه على جميع متاحف العالم.
- وفي عام ١٩٧٠م ذهب الى لبنان وعمل هناك الى حين وقوع الحوادث فيها، عندها عاد الى بغداد في سنة ١٩٨٥ وعندما اشتدت المضايقات عليه من قبل النظام والتهديد بمصادرة الأموال غادر العراق الى الرباط، وبعد ذلك ذهب الى الولايات المتحدة، حيث كانت له علاقات ونشاط مع أركان ونخب الجالية العراقية في الولايات المتحدة الأمريكية، وبقي هناك يعيش معاناة الغربة وآلام شعبه في العراق حتى توفاه الله في منفاه بفرجينيا في ٢٠٠٠/١٠/٣٠م الموافق للأول من شهر شعبان عام ١٤٢١ هـ، وشيع ودفن في مقابر المسلمين هناك. رحمه الله وتغمده بواسع رحمته.

مدرسة الغري الاهلية

عربة الترامواي بين النجف والكوفة

الثكنة العسكرية العثمانية

ساحة الميدان وخان الهنود